

* * *

أسْماءُ بنتُ يَزيد

رَضِيَ اللَّهُ عَنها

نجلاء شوقى حسن

أسْماءُ بنتُ يَزيد

رضِىَ اللّهُ عَنها

شَعرتْ إيمانُ بالفَخرِ والسُّرور ، عِندَما أبلغَتْها مُديرَةُ المَدرَسةِ ، نبأَ اختِيارِها لإلقاءِ كَلمَةِ حَفلِ مَجلِسِ الآباء ، الّذى سيُقامُ الأسبوعَ ، التّالى ، نِيابَةً عن الطالِبات .

خَرجتْ إيمانُ من حُجرةِ مُديرَةِ المَدرَسة ، وأَسرعَتْ إلى مُعلّمَتِها وزَميلاتِها ، تُخبِرُهنَّ بالأمر . فقالَتِ المُعلّمَة :

ـ إنّكِ يا إيمانُ طالِبةٌ مُمتازَة ، وخيرُ من يَقومُ بهذه المُهِمَّة .

وقالَتِ الطّالِباتُ فى سُرور :

ـ ألـمْ تَختَرْكِ يا إيمانُ دائمًا لإلْقاءِ كَلِمَةِ الصَّباح ؟

قالتْ إيمان : إنَّنى سَعيدَةٌ بثِقَتِكُنَّ وحُبِّكُنَّ لى .

وقالتْ المُعلِّمَة : تذكَّرى يا إيمانُ العَدَد الجَديدَ من الصَّحيفَةِ المَدرَسِيَّة أرجو أن تَنتَهى مِنهُ قَريبا .

قالتْ إيمان : لقد أعْدَدتُه ، و يَعُد ينقُصُه إلاّ قِصَّةُ العَدَد .

قالتْ المُعلِّمَة : حَسَنا ، أمامَكِ يا إيمانُ ثلاثَةُ أيّامٍ لإحْضارِها .

لمّا عادتْ إيمانُ إلَى البَيْت ، أخبرتْ أُمَّها بما حَدَث ، فقالَتْ أُمُّها فى سُرور : إنَّ اخْتِيارَهُم لكِ إنّما هو نَتيجَةٌ لَنشاطِكِ واجْتِهادِكِ وحُسنِ تَصرُّفِك ، وهذا هو رأْىُ إخْوَتِكِ أيْضا .

قالتْ إيمانُ فى اسْتِحياء : هل يُمكِنُ أن أَطلُبَ منكِ شَيْئًا يا أُمّى ؟ أقصِدُ مُساعَدةً ضَرورِيَّة .

قالتْ أُمُّها : أىَّ نَوعٍ من المُساعَدةِ تَطلُبين ؟ إنْ كانتْ مُساعدَةً مالِيَّة ، فاقْبلى اعْتِذارى منَ الآن . أمّا إن كانَتْ شيئًا آخرَ مهما

تَكنْ ، فأنا مُستَعِدَّة .

قالتْ إيمان : اطْمَئِنّى يا أُمّى ، فهى غَيرُ مالِيَّة . كلُّ ما هُنالِك أنّى أُعدُّ مِجلّةَ الحائطِ للمَدرَسة ، وقد اكْتَملتْ كُلُّها ما عَدا قِصَّةَ العَدد ، وقد رأيتُ أن أجعلَ موضوعَ القِصَّةِ جِهادَ المَرأَةِ فى الإسْلام ، ولذلكَ أحتاجُ إلى مُساعَدتِك .

قالتْ أُمُّها : هذه فِكرَةٌ طَيِّبَة . ومتَى تُريدينَ أنْ أُحدِّثَك فى مَوضوعِ هذه القِصَّة ؟

قالَت إيمان : الآنَ إنْ أمكنَ يا أُمّى ، حتّى أطمَئنَّ أن تكونَ المِجَلّةُ جاهِزَةً فى مَوعِدِها .

قالتْ أمُّها : حَسَنا ، فاسْتَعِدّى بالكُرّاسَةِ والقَلَم ، فستكونُ قِصَّةُ العَددِ عن خَطيبَةِ النّساء « أسماء بنتِ زَيْد » .

قالَت إيمانُ فى سُرور : خَطيبَةُ النّساء ! هذا رائعٌ يا أُمّى ، فقد كنتُ أبحثُ عن مَراجِعَ لهَذهِ الشَّخصِيَّةِ العَظيمَة .

قالتْ أُمُّها : اكتُبى يا ابْنَتى :

قدَّمتِ المَرأةُ المُسلِمة ، أروعَ الأمْثالِ فى البُطولَةِ والفِداء . فغيَّرتْ ببُطولاتِها النّادِرة ، الّتى فاقتْ بُطولاتِ الكَثيرِ منَ الرِّجال ، وجهَ التّاريخ .

وهذهِ المرأَةُ بَطلةُ قِصَّتِنا ، هى أسْماءُ بنتُ يَزيدِ بنِ السَّكَن ، قدِمتْ فى السَّنةِ الأولَى من الهِجرَةِ مع وفدِ النِّساء ، يُبايِعنَ الرَّسولَ ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ على الدُّخولِ فى الإسْلام ، والوُقوفِ بجانِبه فى دَعَوتهِ إلى اللّهِ عَزَّ وجَلّ .

وقالتْ ـ رضِىَ اللّهُ عنها ـ عن هذه البَيْعة : بايَعَ النِّساءُ رسولَ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ فأخذَ عَليهِن ، ألاّ يُشرِكنَ باللّهِ شَيئا ، ولا يَسرِقْن ، ولا يَزنين ، ولا يَقتُلنَ أوْلادَهُنّ .

وكانتْ مُبايَعــةُ السَّـيدَةِ أسْـماءَ بنــتِ يَزيـد للرَّسـول ، مُبايَعـةَ صِـدقٍ وإخْــلاص . وقــد رَوتْ كُتبُ السِّـيرَة ، أنّهـا كـانتْ تَضـعُ فـى رُسغَيْها سِوارَينِ كَبيرَينِ مـن الذّهَـب ، فقـالَ لها النّبىّ ـ صلّـى اللّـهُ عليـه وسـلّم ـ ألقـى السِّوارَينِ يا أسْماء . أما تَخـافينَ أن يُسـوِّرَكِ اللّهُ بأساوِرَ من نار ؟

ولـم تتردَّدْ أسْماءُ بنتُ يَزيد ، بل أسْـرَعتْ ونَزعتِ السِّوارَين ، وألقَتْ بِهما أمامَ رَسـولِ اللّه ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ .

وأقبَلتْ بعد ذلك لتَسمعَ أحادِيثَهُ الشَّريفَة ،

فكانتْ تَسألُ عن دَقائقِ الأُمور ، الّتى تَتعلّقُ بقَضايا الإسْلام . حتّى بَلغتْ فى الفِقهِ مكانَةً عالِيَة ، فكانتِ النّساءُ يُرسِلنها إلى الرَّسول ـ صلّى اللّهُ عليه وسلّم ـ لتَنوبَ عَنهُنَّ عِندَه .

وقد أتَتهُ ذاتَ مرَّةٍ فقالَت له :

ـ يا رَسولَ اللّه ، إنّى رَسولٌ من جَماعَةِ نِساءِ المُسلِمينَ إلَيك ، فكلُّهنَّ يَقلنَ بقَولى . وقد بَعثَكَ اللّهُ إلى الرِّجالِ والنّساء ، فآمَنّا بكَ واتّبعْناك . ونَحنُ مَعشَرَ النّساءِ لا حيلَةَ لَنا قواعِدُ بُيوت . وأنَّ الرِّجالَ فُضِّلوا عَلينا بالجُمعات ، وشُهودِ الجَنائِز ، والجِهاد . وإذا

خَرجوا للجِهادِ حَفظْنا لَهم أمْوالَهم ، وربَّينا لهم أوْلادَهم ، أفَتُشارِكُهُم في الأجْرِ يا رَسولَ اللَّه ؟

وهُنا نَظرَ رَسولُ اللَّه ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ إلَى أصْحابه فقال :

ـ هل سَمِعتُم مَقالةَ امْرأَة ، أحسنَ سُؤلاً عن دينِها من هذه ؟

فقالَ الصَّحابةُ ـ رضوانُ اللّهِ عَليهم ـ : لا يا رَسولَ اللَّه .

فقال ـ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ـ : انْصَرِفي يا أسْماء ، وأَعلِمي منْ وَراءَكِ منَ النِّساء ،

أنَّ حُسنَ مُصاحَبةِ إحْداكُـنَّ لزَوجِها وطَلبِها لَمرضاتِه ، واتّباعِهـا لُموافَقتِـه ، يَعـدلُ كـلَّ مـا ذَكَرتُ للرِّجال .

بهذا علَّمَ رسـولُ اللَّـه ــ صلَّـى اللَّـهُ عليـه وسلَّم ــ أسْـماءَ وسـائرَ النِّسـاءِ المُسـلِمات ، بحُقوقِ الزَّوجِ العَظيمَـةِ عَليهِـنَّ ، ومـا أوجَبَـه الإسْلامُ علَـى النِّسـاءِ مـن طاعَتِـه ، والعَمـلِ على راحَتِه .

ورَجعتْ أسماءُ بعدَ سماعِها هذه البُشرَى منَ الرَّسول ــ صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم ــ إلى النِّساء وهِيَ تُهلِّلُ وتُكبِّر ، وتحمَدُ اللَّه .

كـانتْ السَّـيدَةُ أسْـماءُ مـن الخَطيبـاتِ البَليغـات ، اللّاتـى يُجِـدنَ نظـمَ الكَـلامِ والتّصرُّفِ فى مَعانيه . ولذلكَ فقد كانَ يُقال لها خَطيبَةَ النِّساء ، وكـانتْ تُحسِـنُ الحِـوار ، ولذلكَ فقد اختارَها النِّساءُ المُسـلِماتُ لتُعبِّرَ عمّا فى نُفوسِهِنّ ، أمامَ أكرَمِ خَلقِ اللّه .

* * *

فى معرَكةِ اليَرموك ، كانتِ المَـرأةُ المُسـلِمةُ تُشارِكُ فى القِتال ، وذلك لأنَّ المَعركَةَ كانتْ عَصيبَةً لِلغايَـة . فقـد جعـلَ خـالدُ بـنُ الوَليـدِ النِّساءَ المُسلِماتِ فى الخَلْـف وفـى المُؤخّـرَة ،

وأعطاهُنَّ سُيوفا ، وأَمرهُنَّ أن يَقتلُنَ من يُوَلّى هارِبا . وقد قـاتلَ نِسـاءُ المُسـلِمينَ فـى ذلـك اليَوم ، وقَتلنَ خَلفًا كَثيرًا مـنَ الـرّوم ، وكـنَّ يَضرِبنَ من انْهزَمَ من المُسلِمين ، ويَقلن :

ـ أينَ تَذهَبون ، وتَترُكونَنا لِلأعْداء ؟

وفى تلكَ المَعرَكة ، خرجَتِ السَّيِّدةُ أسْـماءُ بنتُ يَزيدٍ مع الجَيشِ الإسْلامِىّ ، لِتكـونَ مـع أَخَواتِها خلفَ المُجاهِدين ، للمُعاوَنَةِ والتّـأييد وبـذلِ قُصـارَى جَهدِهـا ، فكـانتْ تُنـاوِلُ السِّلاح ، وتَسْقى المـاء ، وتُضمِّـدُ الجِـراح ، وتَشُدُّ من عَزمِ المُجاهِدين .

وحَملَتِ السَّيِّدةُ أسْماءُ عَمودَ خَيمَةٍ ، وانْطلقَت بَينَ الأعْداءِ تَضرِبُ يَمينًا وشِمالا ، حتّى قتلَتْ وَحدَها تِسعةً منَ الرّوم .

وخَرجتْ أسْماءُ بنتُ يَزيدٍ منَ المَعركةِ سالِمَة ، وقد أصابَتها بَعضُ الجُروح .

وعاشتْ بعدَ المَعركةِ حَوالَيْ سَبعَةَ عشرَ عاما ، وتُوفِّيَت ــ رَحمةُ اللّهِ عَليها ــ فى حَوالِى السَّنَةِ الثّلاثينَ للهِجرَة . ماتَت ــ رِضوانُ اللهِ عَليها ــ ، وقد تَركتْ وراءَها سِيرَةً عَطِرة ، جَديدَةٍ بأنْ يُقْتَدَى بها ، ويَتبَعُها كلُّ النّساءِ المُسلِمات ، فهى إلى جانبِ

ثقافَتِها العَظيمَة ، تُحاوِل أن تَعرِفَ ما لَها وما عليها ، لكيْ تَلقَى اللّهَ وهي مُستَوفِيَةٌ شُروطَ الإيمان . هذا بالإضافَةِ إلى دُخولِها العَمليّ في صُفوفِ الجَيش ، كي تُحارِبَ وتُؤدّي دَورَها نحوَ دينِها ، في بُطولَةٍ وتَفانٍ وإخْلاص .

رَحِمَها اللّهُ رَحمةً واسِعَة ، وأدخَلَها فَسيحَ جَنّاتِه .